٤٠- باب قول الله تعالى
﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي .
وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا.
وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا.
وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.
قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير .
فيه مسائل :
الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.
الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.
الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة.
الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

الشرح :

هذا باب مهم جدا في حياة الناس وكثير من الناس لا يفقهونه بل يقعون فيما جاء التحذير منه .

وفيه التأدب في الألفاظ مع الله جل وعلا ؛ ونسبة النعم التي أنعم الله بها جل وعلا على خلقه لغير الله سبحانه وتعالى ، وأن ترك التأدب في الألفاظ تنقص في جانب الربوبية ، لأنه هو المنعم وهو الخالق وهو الرازق وهو مسدي النعم ؛ فالعبد الذي ينسب النعم لغيرالله يكون غير متأدب معه جل وعلا .

فإذا نسب هذه النعم لغير الله بقلبه فهذا كفر أكبر لا إشكال فيه ، أما الكلام في هذا الباب فيمن ينسب النعم لغير الله بلسانه ؛ وهو كما يقول بعض أهل العلم نوع شرك وبعضهم يصرح بأنه شرك أصغر ؛ وهذا النوع موجود في المجتمع بكثرة، والمؤلف ـ رحمه الله ـ ذكر أمثلة من عصره وغير عصره وذكر عن السلف أمثلة . فتجد العبد مثلا إذا جاءته وظيفة لا يحمد الله سبحانه وتعالى ؛ ولكن يقول فلان أتاني بوظيفة أو فلان وظفني ؛ أو إذا شفي من مرض يقول : الدكتور الفلاني وصف لي الدواء الفلاني وشفيت ، وإذا ربح في تجارة يقول : ربحنا كذا وكذا من الأموال والتجارات ؛ وإذا سافر بالسيارة

إلى مكان بعيد ؛ يقول كنا مع سائق جيد أتى بنا في وقت قياسي ؛ وإذا كان في طائرة أو في سفينة كذلك يقول : كنا مع قائد أو ملاح لم نر مثله ... ونحو ذلك كثير ؛ وكلها فيها نسبة النعم لغير المنعم سبحانه وتعالى ، وإلا فمن الذي علم الطيار قيادة الطائرة ؟ إنه الله ، ومن الذي سخر الريح التي جرت بها الطائرة وجرت بها السفينة حتى وصلت إلى المطار أو الميناء؟ إنه الرب سبحانه وتعالى ، ومن الذي علم هذا السائق للسيارة وحفظه وحفظ عليه جوارحه أثناء القيادة حتى وصل سالما ؟ إنه اللطيف القدير سبحانه وتعالى ؛ فكيف يغفل العبد عن حمده وشكره جل وعلا ؟! فكل نعمة لا بد لها من شكر ؛ وهذا الشكر يكون بثلاثة أشياء :

الأول : شكر باللسان ، تشكر هذه النعمة باللسان ، تقول هذا من فضل الله ، والحمد لله الذي يسر لي هذه الوظيفة والحمد لله الذي ساقها لي على يد فلان أو فلان ؛ لأن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى ولو صرف الله جل وعلا قلب ذاك الشخص عنك لذهبت الوظيفة إلى غيرك ، فهو الذي ساق هذه الوظيفة إليك عن طريق هذا السبب فلا تلتفت للسبب وتترك المسبب ـ سبحانه وتعالى ـ الذي ساق هذا الخير إليك على يد من شاء من خلقه ؛ والله جل وعلا يقول : **﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾** .

الثاني : الاعتراف بهذه النعمة باطنا ؛ فتعترف من كل قلبك وجنانك بأن المسبغ والمعطي لهذه النعم هو الله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى في قليل ولا كثير؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا غير ذلك .

الثالث : أن تصرف هذه النعم في ما يحبه الله أو في ما يرضيه سبحانه وتعالى تصرف هذه النعم بالجوارح والأركان فيما يحبه الله سبحانه وتعالى .

ويجمع هذه الثلاثة قول القائل :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

ففي هذا الباب تنبيه على نوع من الشرك الخفي الذي يكثر في ألفاظ الناس ولا ينتبهون لها ، وهذا ليس في عوام الناس فقط ؛ بل في كثير من طلاب العلم الذين لا يفقهون هذه الأمور ؛ فتجد في ألفاظهم عدم نسبة النعم إلى مسديها ؛ بل يقولون فلان أتى لي بكذا ؛ وفلان أعطى لي ؛ وحصل كذا وما حصل كذا ؛ ولا يثني على ربه جل وعلا في نعمه التي أسداها ؛ وهذا يبين أهمية هذا الباب ومدى خفائه على كثير من الناس .

فَعُلِمَ أن من أضاف نعمة الخالق عزوجل إلى غيره فقد أساء في جانب الربوبية ، وقد جعل معه شريكا في الربوبية ـ على التفصيل السابق ـ فإن

أضافها إلى غيره لأنه خلقها وأعطاها وأسداها فهذا شرك أكبر مخرج من الملة ، وإن أضافها إلى غيره باللفظ والكلام واللسان فهذا نوع شرك أو شرك أصغر كما صرح به عدد من أهل العلم .

أيضا إضافة النعم لغير الله فيه إساءة في جانب الألوهية وتوحيد العبادة ؛ لأن نعمة الله جل وعلا على العبد تستوجب عبادة ؛ وهذه العبادة هي شكر النعمة ، فالشكر عبادة فإذا أضاف هذه النعمة لغير الله فقد ترك هذه العبادة وأخل بهذه العبادة وهي شكر المنعم جل وعلا .

فإضافة النعم لغير الله ونسبتها لغيره ؛ ينافي كمال التوحيد الواجب ؛ والله جل وعلا قال : **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ .**

فقوله : {نعمة} جاءت نكرة في سياق النفي ؛ وجاء بعدها **{من}** فكانت نصا في أنه ما من نعمة إلا من الله ، نص في نسبة النعم إلى الله سبحانه وتعالى ؛ وأنه هو الذي أنعم بها لا منعم سواه سبحانه وتعالى .

والمخلوقون أسباب تأتي النعم على أيديهم أو تساق النعم على أيديهم ؛ ولو شاء الله جل وعلا لتعطلت هذه الأسباب أو لتخلفت هذه الأسباب ، فقد تتاجر مع إنسان وتظن أن هذا الإنسان دائما يربح فيأتيك بالربح الوفير، وقد يبتلي الله سبحانه وتعالى هذا الشخص بالمرض أو بالعجز أو بضعف الآلات أو يجعل عنده العوائق فلا يصل إلى ما كان يصل إليه .

فالذي يسر السبب هو الله سبحانه وتعالى ؛ والذي أزال عن السبب العوائق والعوارض هو الله سبحانه وتعالى حتى وصل إليك هذا الخير ؛ وكان بالإمكان أن توجد العوائق أمام هذا السبب فلا يصل إليك أو يتخلف السبب نفسه فلا يصل إليك .

فإذا ساق الله سبحانه وتعالى الخير على يد سبب من الأسباب إليك فعليك **<u>أولا</u>:** أن تعترف بالنعمة لمن أسداها وهو الله سبحانه وتعالى وأن تشكره سبحانه وتعالى على هذه النعمة بلسانك كما اعترفت بها بجنانك ؛ أما الأسباب فشرع لك أن تثني وتشكر السبب كما جاء في الحديث : **«من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له»** فتدعو له أو تثني عليه أو تكافئه بالإحسان لكن تعرف أن هذا المخلوق إنما هو سبب ساق الله جل وعلا النعمة على يديه وتوقن دائما وتعرف أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فلو شاء لقلب هذا القلب وصرفه عنك إلى غيرك .

ويقال مثل هذا الكلام فيمن ركب طائرة أو سيارة أو باخرة ؛ فقد يُسرت ومشت بفضل الله عز وجل كما قال : **﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾** فهو الذي

أجرى الريح وهو الذي أمسك السفينة وثبتها على الماء برحمته سبحانه وتعالى وهو الذي أجرى الطائرة في الهواء برحمته سبحانه وتعالى كما أمسك الطيور في الهواء عندما تخفض أجنحتها وهي تطير وعندما تبسط أجنحتها ؛ فهو الذي أجرى كل هذا بلطفه ومنه وكرمه سبحانه وتعالى .

ثانيا : ألا تلتفت إلى الأسباب ؛ وتعتقد أنما هي أسباب فقط ساقها الله جل وعلا إليك وساق النعم إليك عن طريقها فلا تقف عند الأسباب وتلتفت إليها .

فلا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله سبحانه وتعالى قولا واعترافا وعملا .

فالقلب الموحد يعلم أن ما تم شيء في الملكوت إلا والله جل وعلا هو الذي يرسله وإذا شاء أمسكه ، كما قال تعالى : ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**﴾ سبحانه وتعالى .

قوله : باب قول الله تعالى ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾

هذه الآية الكريمة من سورة النحل ؛ وهي التي تسمى بسورة النعم ، لما ذكر فيها من كثرة النعم ؛ فذكر الله جل وعلا فيها النعمة الأولى وهي الوحي وإرسال الرسل ثم بعد ذلك نعمة خلق السماوات والأرض ثم بعد ذلك نعمة خلق الإنسان ثم خلق البهائم والأنعام ثم خلق البحر بما فيه من النعم الكثيرة الوفيرة العظيمة مما يؤكل ومما يلبس ومما يجري عليه ويجري فيه ؛ إلى أن قال جل وعلا ﴿**والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا**﴾

{جعل لكم مما خلق ظلالا} : تستظل بالشجر، وتستظل بالحيطان وبالجبال وغير ذلك .

قال تعالى :{وجعل لكم من الجبال أكنانا} : تستكن فيها ؛ مثل الكهف أو الغار ونحو ذلك ، وهذا يعرفه الأوائل أكثر ؛ فكانوا يستكنون في الكهوف وفي الغيران ؛ خاصة عند دخول الليل ومن ذلك حديث الثلاثة الذين نزل عليهم المطر ونزلت صخرة فأغلقت باب الكهف ، إلى آخره .

قال تعالى :﴿**وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم**﴾ **والسرابيل** : هي الثياب والدروع والألبسة المتنوعة ؛ **فقال : {سرابيل تقيكم الحر}** ولم يذكر البرد ؛ قيل بأن العرب كان البرد عندهم قليل في الحجاز في منطقة مكة ؛ أو يقال بأن السرابيل التي تقي الحر تقي البرد ؛ أو يعرف هذا بالضد أنه جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم البرد الذي هو ضد الحر .

قال تعالى :{وسرابيل تقيكم بأسكم} وهي الدروع التي يلبسها المحاربون والمجاهدون .

قال تعالى :﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ تسلمون: وقرأ بعضهم {تَسْلَمون} يتم نعمته عليكم لعلكم تُسلمون ؛ لكنهم في الحقيقة لم يُسلموا ؛ فالكثير لم يُسلم .

قال تعالى: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي فإن تولوا عن الإقرار بهذه النعم وتركوا الإيمان بك وتركوا شكر المنعم فليس عليك إلا البلاغ ، هذا إعذار ومعذرة .

ثم قال: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾

يعرفون نعمة الله ؛ والله جل وعلا قال : ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فقد يقول قائل : هي نعمة واحدة فكيف لا نحصيها ؟

والجواب : بأن المفرد المضاف يعم ؛ فهي نعم كثيرة ، نعم في الأبدان ونعم في الأديان نعم معنوية ونعم مادية لا تحصى .

وأهل العلم اختلفوا في المراد بالنعمة في هذه الآية فقيل :

إن المراد بالنعمة هنا إرسال الرسول ﷺ {يعرفون نعمة الله} أي يعرفون أن هذا الرسول حق وأنه مرسل من عند الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ ؛ {ثم ينكرونها} أي يجحدون الرسالة ويجحدون الرسول ، مع أنهم عرفوا صدقه بما جاء به من الآيات الكثيرة بما يؤمن على مثله البشر، ومع ذلك ينكرونها .

وهذا الذي رجحه إمام المفسرين الطبري وقال : انظر إلى ما قبلها - يعني الآية - وما بعدها من الآيتين ؛ فذكر فيهما الرسول ﷺ قال :﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ يعني يا أيها الرسول عليك البلاغ وقد أعذرت ؛ ثم بعدها قال: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا﴾ فكل أمة يبعث منها شهيد ويؤتى بالرسول الكريم ﷺ شهيدا على هذه الأمة .

وهذا وجه ترجيح الطبري لأن المراد بالنعمة هنا الرسول ﷺ والرسالة.

وأدخل غيره من أهل العلم في هذه النعمة عدة أمور: بعضها معنوي وبعضها حسي وذكر القرطبي ثمانية أقوال، وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ملخصة .

وهذه الأقوال ليس بينها تعارض ولا تضاد وإنما هي من باب التنوع والتفسير بالمثال ، فبعض السلف يفسر أحيانا الشيء بالمثال ولا يقصد الحصر في تفسيره أو في مثاله ، فكل هذه الأقوال تدخل في معنى الآية كما رجح ذلك ابن كثير .

القول الأول : ﴿يعرفون نعمة الله﴾ يعني في الشدة **﴿ثم ينكرونها﴾** يعني في الرخاء . كما قال تعالى : **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾** .

القول الثاني : يعرفونها بقلوبهم ويجحدونها بألسنتهم .

القول الثالث : يعرفونها بأقوالهم دون أفعالهم ، يتكلم كلاما مصادما للعمل كأن يعترف بأن هذه النعمة من الله لكن يصرفها لغير الله .

القول الرابع : يتقلبون في هذه النعم ولا يذكرون الله جل وعلا عليها وهو المنعم سبحانه وتعالى .

وكل هذه كما ترى داخلة في معنى الآية .

والمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر منها ثلاثة أقوال : قول عن مجاهد والقول الثاني عن عون ، والثالث عن ابن قتيبة .

قال : قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي .

قوله :«وقال مجاهد» وهو الإمام المعروف في التفسير ـ مجاهد بن جبر ـ الذي قال فيه الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

قوله : «ما معناه» أي نقل قول مجاهد مختصرا .

قوله : «هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي» اللفظ الذي ذكروه عن مجاهد: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها ، الأنعام فيها اللبن وفيها اللحم وفيها ما يستخلص من اللبن ، والسرابيل : من الحديد والثياب ، يعرف هذا كفار قريش ، ثم ينكرونه بأن يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا إياه .

فالذي يقول هذا مالي مثلا ؛ إذا قاله وقصد الإجابة على سؤال من سأله : مال من هذا ؟ أو لمن هذا المال؟ فيقول هذا مالي ؛ يعني على سبيل الإخبار ليس على سبيل التبجح والتعاظم والاستكبار ؛ فهذا لا بأس به .

لكن من يقول : هذا مالي إنما أوتيته على علم عندي ؛ وورثته عن آبائي أو عن غير آبائي ، نقول له : إنما انتقل إليك هذا المال بقدر الله وبشرعه وقد ورثته بشرع الله .

ولا بد أن يعلم أن هذا المال جاءه بقدر الله وبتقديره فينسب النعمة إلى مسديها ويعترف بالنعمة لمن أنعم بها وهو الله جل وعلا ، ولا يقول كما قال قارون **﴿إنما أوتيته على علم﴾** يعني أنا أستحق هذا المال ، ولا يذكر المنعم الذي أعطاه الصحة التي مشى بها والقوة والأرجل والأيدي والعافية ويسر له الطريق ويسر له السبب ، فكلك نعم ؛ من أعلى رأسك إلى أخمص قدميك ،

وإذا وفقت لشكر نعمة واحدة فإن هذا الشكر يحتاج إلى شكر، لأنه هو الذي وفقك للشكر، وكم من الناس لا يشكر الله وهو يتقلب في نعم الله جل وعلا .
وقد وعد الله جل وعلا الشاكرين بالزيادة ؛ فقال جل وعلا ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي شديد**﴾ .
وهذا معنى قول مجاهد الذي ساقه المؤلف بهذا اللفظ وهو قول الرجل : «**هذا مالي ورثته عن آبائي**» .

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا.

قوله : « **وقال عون بن عبد الله** » هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وثقه الإمام أحمد وابن معين .

قوله : «**يقولون لولا فلان لم يكن كذا**» ذكر ابن جرير هذا القول وأنه كان يقول: إنكارهم إياها أن يقول الرجل لولا فلان لم يكن كذا وكذا ، ولولا فلان ما أَصبتُ كذا وكذا ، فهذا يضيف الخير الذي يحصل له للمخلوقين ؛ وهذا فيه خطأ إضافة النعمة لغير الله وإضافتها للعبد المخلوق . وسيأتي ـ إن شاء الله ـ في الباب القادم باب قول الله جل وعلا ﴿**ولا تجعلوا لله أندادا**﴾ كلام وأمثلة على لولا ولو ، ولكن الذي نضيفه هنا نقولا عن بعض أهل العلم أنه رخص في استعمال كلمة لولا بشروط :

الشرط الأول : أن تنسب النعمة لسبب حقيقي في الشرع أو في القدر .

الشرط الثاني: ألا تعتقد أن هذا السبب مؤثر بنفسه استقلالا .

الشرط الثالث: ألا تنسى المنعم سبحانه وتعالى .

فعندئذ رخص بعض أهل العلم في استعمال لولا ؛ ودليلهم في ذلك الحديث الصحيح عندما سئل النبي ﷺ ماذا نفعت عمك ؟ ـ يعني أبا طالب ـ الذي كان يحوطك ويدافع عنك ؟ قال : «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» يعني نفسه ﷺ ؛ لكنه جعل في ضحضاح من نار يلبس نعلين يغلي منهما دماغه ؛ وهو يظن أنه أشد أهل النار عذابا وهو أهون أهل النار .
فاستعمل النبي ﷺ كلمة لولا ؛ لكن بهذه الشروط التي ذكرناها .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا.

قوله : «**وقال ابن قتيبة**» هو الإمام الكبير عبد الله بن مسلم بن قتيبة صاحب كتاب أدب الكاتب وغير ذلك في التواريخ والسير.

وهذا القول مروي عن الكلبي وأيضا عن الفراء ـ وهو من أئمة اللغة ـ ولعل المؤلف ترك روايته عن الكلبي لأنه متهم بالرفض وبالكذب لكنهم ينقلون عنه في التفسير الكثير ـ وهو محمد بن السائب الكلبي ـ ولا يكاد كتاب من كتب

التفسير التي فيها الأسانيد إلا ويذكره لكن المؤلف ترك ذكره وعزا هذا الكلام لابن قتيبة - وهو متأخر- لأنه في القرن الثالث ، لأن الكلبي متهم بالرفض وبالكذب .

قوله : «يقولون هذا بشفاعة آلهتنا» فهذا المطر الذي نزل علينا أو هذا الخير الذي أخرجت الأرض ؛ بشفاعة آلهتنا ، وهذا القول أشد مما سبق لأنه تضمن الشرك الأكبر ؛ وهو اعتقادهم في الشفعاء ، أن الآلهة المزعومة عندهم شفعت عند الله سبحانه وتعالى فأنزل المطر أو أنبت الحب ، فهذا تضمن أمرين خطيرين :

الأول : الشرك بالشفعاء وهو شرك أكبر لا خفاء فيه .

الثاني : نسبة النعم لغير الله ، لأن هذا وهم ، فالأصنام لم تشفع عند الله سبحانه وتعالى ، فهبل والعزى وغيرها من التماثيل لم تشفع ، لأنها جمادات .

وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث وقد تقدم -: وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قوله :«وقال أبو العباس» يعني ابن تيمية رحمه الله تعالى .

قوله : «بعد حديث زيد بن خالد» الجهني المذكور في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء .

قوله : «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية » الحديبية : مكان قبل مكة يعرف الآن بمنطقة الشميسي .

قوله : «على إثر سماء كانت من الليل» يعني كان في هذه الليلة مطر نزل من السماء .

قوله :«فلما انصرف قال» أي فلما انصرف من الصلاة .

قوله : «قال: هل تدرون ماذا قال ربكم» هذه نعمة نزلت ؛ والناس تجاه النعم لهم أحوال متفرقة ، ما بين شاكر وجاحد ؛ ما بين مستعمل لها في الطاعة ومستعمل لها في المعصية ، فالنعم دائما تظهر معادن الناس وتفرق بينهم ، لكن الموفق من استعمل هذه النعم في مرضاة الله سبحانه وتعالى ؛ فلما أمطرت السماء تفرق الناس فقال بعض الصحابة : مطرنا بنوء كذا وكذا - يعني بنجم كذا وكذا - وقال آخرون : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فقال النبي ﷺ: **«أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ؛ فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا مؤمن بي كافر بالكوكب ؛ وأما من**

قال مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» فهذا شرك في الألفاظ .

فإذا أنعم الله جل وعلا عليك بنعمة ؛ فالذي ينبغي أن تقول الحمد لله الذي يسر لنا هذه النعمة ووفقنا لهذا الخير ؛ فلا تنس ذكر المنعم ؛ بل يجب عليك أن تضيف النعم إلى مسديها سبحانه وتعالى .

قوله : « وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به ». وهذا كقوله تعالى ﴿**وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون**﴾ أي تجعلون شكر هذه النعمة التكذيب؟**!**

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير .

قوله : « قال بعض السلف : هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا » كما ذكرنا في أول الباب من قول بعضهم : كان السائق أو القائد أو الملاح جيدا ؛ ووصل بنا إلى المكان الفلاني في وقت قصير ؛ ونحو ذلك من الكلام ؛ وينسى المنعم الذي يسر هذه السيارة ويسر الريح وسهل الطريق وأزال العوائق والعوارض

قوله :« كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا » وهذا يدل على عمق فهم السلف، فالأئمة ذكروا هذه الأمثلة مع أنها أشياء دقيقة في حياة الناس ويدل على حرص السلف على تحقيق التوحيد ، لذلك يقول الشيخ **« ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير »** كثير من الناس ؛ فالذي أجرى الريح هو الله سبحانه وتعالى ؛ قال تعالى : ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف**﴾ ريح طيبة وريح عاصف ، فعند ورود الريح الطيبة يحمد الإنسانُ اللهَ سبحانه وتعالى ويشكر الله سبحانه وتعالى ، وعند ورود الريح العاصف يدعو الله سبحانه وتعالى أن يلطف به وأن يرفق به وأن يسهل طريقه ويسلمه .

فيه مسائل :

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

كما في تفسير الآية ﴿**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾ سواء يعرفونها بالعلم أو يعرفونها بأنهم يتمتعون بها ويعرفونها بحواسهم ثم ينكرونها على ما سبق .

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير .

كقولهم : كانت السيارة سريعة ، كان السائق جيدا ، ونحو ذلك من هذه الألفاظ المخالفة التي ليس فيها نسبة النعم لله سبحانه وتعالى .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة.
حتى لو اعترف بها بقلبه لكنه منكر بلسانه .
الرابعة: اجتماع الضدين في القلب .
فقد يجتمع في القلب ضدان ، ويجتمع هنا الإنكار والمعرفة ، كما يجتمع في القلب خصلة من خصال النفاق وخصلة من خصال الإيمان .
والخلاصة : أن العبد إذا أنعم الله جل وعلا عليه بنعمة عليه أن يعرف أن هذه النعمة من الله ؛ وأن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة ؛ فيقول الحمد لله الذي وفقني لهذا ، والحمد لله الذي يسر لي هذا الخير ، والحمد لله الذي شفاني بهذا الدواء أو بغيره ، ومن فضل الله علينا أن كانت الريح طيبة وكانت الأمور ميسرة ؛ وأكرمني الله جل وعلا بالنجاح في الامتحان الفلاني .
فينبغي على العبد أن ينتبه لألفاظه ؛ وينتبه لكلماته ويعرف أن كل نعمة هي من الله سبحانه وتعالى ؛ وأن العباد إنما هم أسباب .

والله أعلم